

أضواء البيان

@ 374 وأسنده في (السجدة) لملك الموت في قوله : { قُلْ يَتَذَوِّفُكُمْ مَلَكٌ
الْمَوْتِ } ، وأسنده في (الزمر) إلى نفسه جل وعلا في قوله : { اللَّاهُ يَتَذَوِّفُ
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } . وقد بينا في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات
الكتاب) في سورة (السجدة) : أنه لا معارضة بين الآيات المذكورة . فإسناده التوفي
لنفسه ، لأنه لا يموت أحد إلا بمشيئته تعالى ، كما قال : { وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ
تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ الْكَتَابِ } ، وأسنده لملك الموت ، لأنه هو
المأمور بقبض الأرواح ، وأسنده إلى الملائكة لأن لملك الموت أعواناً من الملائكة ينزعون
الروح من الجسد إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت ، كما قاله بعض العلماء . والعلم عند
الله تعالى . قوله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوعَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة :
أنه بعث في كل أمة رسولا بعبادة الله وحده ، واجتناب عبادة ما سواه . وهذا هو معنى (لا
إله إلا الله) ، لأنها مركبة من نفي وإثبات ، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى
في جميع أنواع العبادات ، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص ، على
الوجه الذي شرعه على السنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه . .
وأوضح هذا المعنى كثيراً في القرآن عن طريق العموم والخصوص . فمن النصوص الدالة عليه
مع عمومها قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِمْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نَزَّلْنَا نُوحًا } ، وقوله : { وَأَسْأَلُ مَنْ
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ أَنْ يُعْبِدُونِ } ، ونحو ذلك من الآيات . .
ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى : { لَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ } ، وقوله تعالى : { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ } ، وقوله تعالى : {
وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ } ، وقوله : { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ } ، إلى غير ذلك من
الآيات . .

واعلم أن كل ما عبد من دون الله ، فهو طاغوت . ولا تنفع عبادة إلا بشرط اجتناب عبادة ما سواه . كما بينه تعالى بقوله : { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ